

إشكالات الكتابة النقدية المغاربية في مقارنة الأدب الرقمي
(المفهوم ، المنهج ، القراءة)Issues in the Maghreb Critical Writing when Approaching
Digital Literature
(Concepts, methods, and readings)1 فطيمة بلبركي¹ ، السعيد ضيف الله²Fatima belberki¹, said difallah²

مخبر الشعيرة الجزائرية (جامعة مسيلة) / المركز الجامعي سي الحواس بريككة ، الجزائر

.university Center –Si ELHaoués- barika , Algeria

balberkifatima1978@gmail.com¹ said.difallah@gmail.com²

تاريخ الإرسال: 2020/11/05 تاريخ القبول: 2020/12/05 تاريخ النشر: 2021/06/02

ملخص البحث

نتج عن اقتران الكتابة الأدبية المغاربية بالرقمية وتوسلها بتقنيات الوسائط التكنولوجية لبناء صروح نصوصها الإبداعية، ارتحال الأدب بمختلف أجناسه من فضاء الوسيط الورقي واستيطانه في فضاء الوسيط الرقمي (الحاسوب)، وبالتالي ميلاد أشكال وأجناس جديدة بمفاهيم ومعطيات مغايرة تدرج جميعها تحت مظلة (الأدب الرقمي).

وبفعل هذه التحولات المعرفية برزت جملة من الإشكالات النقدية الجدلية والتي تتعلق أساساً بتحديد الإطار المفاهيمي للأدب الرقمي، وكذا طبيعة الأدوات المنهجية النقدية الواجب اعتمادها في مقارنة النصوص الأدبية الرقمية، فضلاً عن مساءلة الفعل القرائي واتساع رقعة التأويلات في ظل التحولات القرائية الجديدة.

وعليه تأتي هذه الدراسة بهدف الوقوف على هذه الإشكالات ومحاولة احتواءها، متوسلة تحقيق غايتها بجملة أدوات منهجية تستند إلى الوصف والتحليل، لتنتهي إلى أن (الأدب الرقمي) جنس أدبي هجين فرضته التحولات المعرفية الحاصلة نتيجة ارتباط الأدب بالرقمية، ونقده ينبغي أن يتم في ضوء مقارنة نقدية جديدة تراعي مقومات هذا الأدب وخصائصه ومكوناته.

الكلمات المفتاحية: كتابة نقدية، إشكالات، أدب رقمي، تعريف، منهج، قراءة.

1 فطيمة بلبركي balberkifatima1978@gmail.com

Abstract :

The Maghreb literature is gradually adapting to digital media technologies to broaden its creative networks. This metamorphosis results in the migration of various genres of literature from the paper -as a space and medium- to the digital sphere. In this way, these cognitive shifts have brought new literary forms and new concepts. Under the umbrella of digital literature, a number of controversial critical problems emerge, which relate mainly to the conceptual framework of digital literature, the nature of the critical approaches adopted, and the scope of the reading act in light of the expansion of literary text interpretation. Hence, this study aims at examining these issues using description and analysis as methodological tools. The paper concludes that digital literature is a hybrid literary genre, which scholars should approach from a new critical perspective that takes into account its inherent ingredients.

Key words: critical writing, controversies, digital literature, concepts, approach, reading.

**تمهيد:**

(الأدب الرقمي) لون أدبي جديد ظهر نتيجة اقتران الأدب بالثورة الرقمية والتكنولوجية، وكان نتاج هذا القرن ميلاد أشكال أدبية جديدة ومختلفة، وولوج هذه الأشكال إلى الساحة الأدبية العربية عامة، والمغاربية خاصة طرح العديد من الإشكالات النقدية الجدلية النظرية والتطبيقية، وعن مدى تطوير الكتابة النقدية المغاربية لأجهزتها المفاهيمية وأدواتها الإجرائية لأجل مقارنة النصوص الإبداعية الرقمية الجديدة.

وتشهد الساحة الأدبية المغاربية نزوع بعض المبدعين إلى الانخراط في مجال الأدب الرقمي إبداعاً ونقداً، وعلى الرغم من محدودية الإنتاج الأدبي الرقمي المغاربي -كما العربي- إلا أننا نسجل بارتياح بوادر حركة نقدية نشطة تسعى إلى تأسيس ما يُسمى (النقد الأدبي الرقمي) نظرياً وتطبيقاً، وذلك من خلال توجه بعض النقاد إلى مقارنة نماذج من النصوص الأدبية الرقمية العربية والغربية، كما فعلت الناقدة المغربية (زهور كرام) والناقدة (ليبية خمارة) والناقد المغربي (محمد أسليم) في ترجماته لنظريات (الأدب الرقمي) الغربية وغيرهم، وهذه المقاربات النقدية تثير الكثير من التساؤلات وتُشرع أبواب الشك والتأويل على مصراعيها، وعن قدرة الكتابة النقدية على احتواء إشكالات (الأدب الرقمي) المتأزمة بفعل الفقر المعرفي بالثقافة الرقمية، وعليه تأتي إشكالية الدراسة

وفق التساؤلات التالية: ما هو تصور النقاد المغاربة لمفهوم (الأدب الرقمي) في ظل ضبابية الرؤية واضطراب المصطلح؟ كيف تجاوز هؤلاء إشكالية المنهج في مقارباتهم؟ وهل قدموا آليات منهجية إجرائية جديدة؟ أم أنهم اكتفوا بالمنهج النقدي التقليدي؟ ما هي رؤيتهم لإشكالية القراءة الأدبية في ظل الوسائط الجديدة وأبجديات القراءة الرقمية المنفتحة على كل الاحتمالات الممكنة؟ ستحاول الدراسة إذن البحث في هذه الأسئلة ورصد إجابات لها في ضوء تجارب النقاد المغاربة سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، وعلى الرغم من حداثة الموضوع وجدته فقد قدم هؤلاء للكتابة الأدبية النقدية المغربية والعربية دراسات جادة، تميزت بالريادة والجدّة في الطرح والاشتغال، إلى جانب تأثيرها الممتد في الدراسات التي أعقبتها، واعتُبرت من الدراسات النقدية التأسيسية للنقد الرقمي، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه "ليس هناك في الواقع نقد فني قائم الذات في مجال الإبداع الرقمي رغم وجود بعض الدراسات التي كسرت حاجز التحفظ وقدمت رؤى إيجابية تبشر بعهد جديد في ظل الحراك التكنولوجي المتسارع"¹.

1/ إشكالية المفهوم بين التنظير و التطبيق:

لا تزال تجربة الإبداع الأدبي الرقمي في المغرب العربي في طور النمو، على الرغم من أن التجربة المغربية تعد رائدة في هذا المجال بخلاف نظيرتها في الجزائر وتونس، وهذا الكلام ينسحب بالطبع على الكتابة النقدية التي وجهت سهام أسئلتها صوب الإبداع الرقمي العربي تنظيراً و تطبيقاً، حيث شكّل سؤال (المفهوم) أهم تلك الأسئلة وأكثرها تكراراً على مستوى التنظير النقدي. لقد شغلت (المفاهيم) حيزاً معتبراً في كتابات النقد الأدبي "باعتبارها أدوات للتواصل، و باعتبارها أيضاً مكتسبات معرفية جاءت وليدة البحث في مختلف الظواهر التي اهتم بها، وذلك بالنظر إلى أنّ إنتاج مفاهيم جديدة وتطوير دلالات قديمة يتصل بوثوق بتطور معرفي، وكلّما تطورت المفاهيم بحسب المعنى الثاني أمكن التقدم في معرفة الأشياء"².

ويعرف مصطلح (الأدب الرقمي) فوضى اصطلاحية كبيرة بسبب التسميات والترجمات التي أطلقها النقاد العرب والمغاربة على هذا الأدب، بحيث يجد الباحث في هذا الشأن نفسه في مواجهة سيل من المصطلحات المتباينة الدلالات منها (الأدب التفاعلي)، (الأدب الترابطي)، (الأدب الإلكتروني)، (الأدب المعلوماتي)، (الأدب الشبكي)... وغيرها، واضطراب المصطلح هذا انعكس بطبيعة الحال على (المفهوم) الذي يشهد هو الآخر اضطراباً تناظرياً مع كل مقارنة نقدية

جديدة، وذلك يعود إلى أنّ "الأدب الرقمي كان وليد حالة مغايرة جاءت نتيجة انفجار مفهوم النص الكلاسيكي إلى مفهوم جديد اقتضته لغة المعلومات الحديثة"³.

وتبعاً لذلك أصبح القبض على مفاهيم (الأدب الرقمي) يخضع إمّا لطبيعة الوسيط الحامل للنصوص الرقمية، أو لعلاقته بالقارئ المتلقي أو بالروابط، أو بطبيعة الجنس الأدبي الرقمي (رواية- شعر- قصة- مسرحية...)، وإمّا بالاستناد إلى رؤية الناقد ومرجعياته الفكرية وتصوره النقدي الذي كثيراً ما يكون مرجعاً أساسياً لصياغة المفهوم وتعيينه، ولأنّ "الضرورة النقدية تقترح الانخراط في تجربة التحليل الأدبي الرقمي من أجل حركية اشتغال المفهوم"⁴ حاول النقاد المغاربة مجازاة حركية هذا الأدب والقبض على مفاهيمه المتشعبة في فضاء عوالم الافتراضية.

ونبدأ البحث في هوية (الأدب الرقمي) من موقف الناقد المغربي (جميل حمداوي) الذي اعترف بأنّه "لا يمكن استيعاب مفهوم الأدب الرقمي (littérature numérique) بشكل جيد ودقيق إلاّ بتمثّل مختلف دلالاته اللغوية والوسائطية والإعلامية، ومعرفة مختلف السياقات التاريخية التي عرفها الأدب الرقمي في مختلف مساراته الزمانية والمكانية، مع تحديد مجمل مقوماته الأساسية وخصائصه الفنية والجمالية والإعلامية"⁵، وانطلاقاً من هذه المعطيات التي يرى الناقد أنها تُسهم بشكل كبير في ضبط مفهوم الأدب الرقمي، يحدد تعريفه بقوله "يُقصد بالأدب الرقمي أو الأدب الميديولوجي، أو الأدب الوسائطي ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع، أي يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مؤلف إبداعي، ويعني هذا أن الأدب الميديولوجي هو الذي يستخدم الوساطة الإعلامية أو جهاز الحاسوب أو الكمبيوتر ويحول النص الأدبي إلى عوالم رقمية وألية وحسابية"⁶.

يبدو من تعريف الناقد التركيز الكبير على الوسيط (الحاسوب) - وخاصة الإعلامي - في تحديد مفهوم الأدب الرقمي، لكن فقدانه التركيز على المصطلحات بدأ أكثر وضوحاً منذ البداية. وتُعد دراسة الناقد (زهور كرام) الموسومة ب (الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيمية) من الدراسات النقدية الرائدة والجرئة التي سعت لتأسيس نقد رقمي عربي يتماشى والظاهرة الأدبية الرقمية، ومن عنوان الدراسة يتكشّف لنا إصرار الناقد ومحاولتها تعقب ظواهر الإبداع الرقمي، وخاصة ما تعلق بالمفاهيم حيث تؤكد " أن مفاهيم الأدب الرقمي ما تزال ملتبسة وغامضة من حيث الاشتغال، وليس فقط في التجربة العربية، وإنما أيضاً في التجربة الغربية وذلك

لكون تجربة الأدب الرقمي حديثة العهد. ولهذا لا تنتظر ثباتا في التجديد المفهومي، لأن ذلك يحتاج من جهة إلى تراكم النصوص ومن جهة ثانية إلى نشاط حركة النقد⁷.

إنّ الغموض والالتباس الذي يلف مفاهيم (الأدب الرقمي)-بحسب الناقدة- عائد إلى حداثة التجربة العربية كما الغربية، إضافة إلى محدودية الإنتاج الأدبي الرقمي وعدم تحقيقه للتراكم الكمي أو النوعي، دون إغفال دور النقد الأدبي وعدم مواكبته لمستجدات التحولات النصية الجديدة، وكلها عوامل تحيل إلى استحالة الوصول -على الأقل حاليا- لمفهوم جامع يتفق النقاد عليه خاصة وأنّ التجربة العربية لا تزال في مرحلة البدايات والتشكل، تقول (زهور كرام): "الأدب الرقمي هو مفهوم عام تنضوي تحته كل التعبيرات الأدبية التي يتم إنتاجها رقميا، والمترايب مفهوم يعين الحالة الأجنبية لهذا الأدب، أما التفاعلي فهو إجراء رقمي عبره تتحقق رقمنة النص، لكنها تأويلات لدلالات مفاهيم قابلة للتحويل وفق مستجدات تجربة النصوص"⁸.

ومن خلال قول الناقدة يتضح للقارئ الصعوبة في الوقوف بثبات عند مفهوم واحد للأدب الرقمي، والمفاهيم الحالية هي مجرد تأويلات تفتقد للاستقرار الدلالي وذلك راجع "ربما لعدم ثبات مرجعيته في كثير من الحالات وكذلك عدم الوثوق في الملكية الفكرية، وأيضاً يرى البعض أن النص الأدبي الرقمي قد يكون مازال أقرب للمادة الخام وقابلية التعديل عليه والإضافات والحذف لم تنته بعد، بمعنى أنه قد لا يكون تحول إلى نص مكتمل مثلما يحدث مع نشر الأعمال الأدبية في الكتب والمجلات الورقية"⁹.

أما الناقد المغربي (سعيد يقطين) فيُعد من النقاد العرب الأوائل الذين حاضوا مجال التنظير للأدب الرقمي، وحاول جاهداً الدفع نحو الانخراط في العصر الرقمي، فمن خلال مؤلفه النقدي الموسوم ب(من النص إلى النص المترايب مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي) نراه يسعى إلى الدفع بالكتابة النقدية إلى التفاعل والاندماج مع تحولات المرحلة الجديدة يقول: "لقد دخلت الدراسات الأدبية مرحلة جديدة من البحث، وتولدت مصطلحات ومفاهيم جديدة، لكننا ما نزال بمنأى عن التفاعل معها، أو استيعاب الخلفيات التي تحددها، ظهرت مفاهيم تتصل بالنص المترايب، والتفاعلية والفضاء الشبكي، والواقع الافتراضي، والأدب التفاعلي، ونحن ما نزال أسيري مفاهيم تتصل بالنص الشفوي أو الكتابي، ولم نرق بعد إلى مستوى التعامل مع النص الإلكتروني"¹⁰.

الناقد يدعو إذن للتحرر من أسر تقاليد الكتابة النقدية واجترار مفاهيمها، وتبني مفاهيم جديدة تفرضها إكراهات النص الرقمي وطبيعته المحيية؛ وجاءت محاولته القبض على مفهوم واضح ذات بعد شمولي، تنظر للأدب الرقمي بمفهوم شامل وعمام، تندرج تحت عباءته كل صنوف الإبداع المتوالد من ارتباطه بالرقمية بما فيها الإبداع الأدبي، والأدب الرقمي بحسب رؤيته يُمثل "مجموع الإبداعات الرقمية-والأدب أبرزها- التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صوراً جديدة في الإنتاج والتلقي"¹¹.

وهذا المفهوم يُخفي حذر الناقد وترثه في إصدار أحكامه النقدية، والحذر كان حتى في اختيار الألفاظ والمفردات المشكّلة للمفهوم، إذ فضّل مصطلح (الإبداع) بدل (الأدب) لأنه يدرك جيداً حساسية المرحلة وقلق البدايات، وعدم استقرار المفاهيم والتعريفات، ولكنه جمع بين إمكانات الوسيط (الحاسوب) وحتمية تطور الإبداع الأدبي في سعيه للوصول لفهم ماهية الأدب الرقمي. وكان لتأثير التفاعل وما تُتيحه من إمكانات دور كبير في تحديد مفهوم (الأدب التفاعلي) الذي يُفضّل استعماله كثير من الباحثين ومنهم الناقد الجزائري (عمر زفاوي) الذي يرى في مقارنته أنه "جنس أدبي جديد تخلق في رحم التقنية، قوامه التفاعل والترابط، يستثمر إمكانات التكنولوجيا الحديثة ويشغل على تقنية (النص المترابط Hypertext) وتوظيف مختلف أشكال الوسائط المتعددة (Hypermedia) يجمع بين الأدبية والإلكترونية"¹².

وهذا التعريف يقوم على الجمع بين المقومات الأساسية التي تتداخل في بناء (الأدب الرقمي) منها على وجه الخصوص تقنية النص المترابط Hypertext القائمة على مفهوم التشعب الذي يمثل شبكة مركبة من عديد النصوص التي تتميز باللاّهائية في الشكل، و اللاخطية في القراءة، إضافة إلى خاصية التفاعل والترابط التي هي ميزة (الأدب التفاعلي) ومرجعاً لكثير من النقاد في تحديد المفهوم، دون إهمال دور الوسائط المتعددة Hypermedia صياغة مفاهيم الأدب الرقمي. وتُعد تجربة الناقد الجزائري (حمزة قريرة) الأولى من نوعها في الجزائر، إذ تجمع بين التنظير والتطبيق، ويمكن دخول مُدونه الرقمية من خلال الرابط: <https://www.litartint.com>.

وفي سعيه التنظير في مجال (الأدب الرقمي) يقدم الناقد مفهوماً عاماً يُعرفه بأنه " الأدب المنتج والموجه عبر الوسيط الإلكتروني الرقمي، أي الأدب الناتج عن اتحاد الخصائص الأدبية بالتقنية

الرقمية، فهو أدب استفاد من مختلف الصياغات التي ظهرت في النص الشبكي والمفرع Hypertext بنسقيه السلبي والإيجابي الذي يمنح المتلقي فرصة المشاركة في بناء النص¹³. وهذا المفهوم -بحسب الناقد- تندرج ضمنه جميع النصوص الرقمية بما فيها مُتون الأدب الورقي التي خضعت لعمليات الرقمنة، ولهذا نجد مفهومًا خاصًا يقلص نسبيًا درجة الاتساع التي ميزت المفهوم العام، حيث يُؤكد هذه المرة " أن الأدب التفاعلي الرقمي هو أدب يتم إنتاجه مباشرة عبر جهاز الحاسوب من خلال برمجيات حاسوبية خاصة (أو مواقع محددة) حيث يمنح النص وجودا شبكيا ومفرعا عبر طبقات مختلفة يتم ربطها بروابط تشعبية، كما تربط النص المكتوب (اللغوي) بنيات غير لغوية يحتويها (صوت، صورة، حركة...) بهذا تعدد الوسائط في تقديم متنه، وتكون مختلف هذه الوسائط مساهمة في البناء باعتبارها بنيات أساسية في النص وليست شكلا للترين"¹⁴.

يبدو أنّ الناقد ينطلق في مفهومه من الدور الذي تلعبه الوسائط المتعددة في عمليات إنتاج النصوص الرقمية، حيث مثّلت الوسائط مرجعاً للعديد من الباحثين أثناء ضياعتهم لمفاهيم الأدب الرقمي، لكن الناقد (حمزة قريرة) هنا يتحدث من مُنطلق التجربة الخاصة، حيث يتناغم هذا المفهوم مع تجربته الإبداعية في إنتاج النصوص الرقمية، وهو الذي قسم مدونته إلى أنوية وكل نواة وضع فيها جنسا أدبيا رقميا من إبداعه الخاص.

وكان الناقد الجزائري (عبد القادر فهم شيباني) في مقارنته لنص سردي رقمي عربي وهو (رواية شات لمحمد سناجلة) قد ربط تحديد مفهوم (المحكي المترابط) بمدى معرفة الناقد وفهمه لآليات اشتغاله، وذلك من خلال دراسته الموسومة ب(سيمائيات المحكي المترابط (سرديات الهندسة الترابية، نحو نظرية للرواية الرقمية) يقول: "في سبيل تحديد تعريف متكامل للمحكي المترابط وجب تحقيق الفهم بآليات اشتغال النص المترابط وتمظهراته، فبه تتأسس الرؤية العميقة للأشكال السردية، وفي هذا الصدد يمكننا أن نحصى أربع وجهات تعريفية للمحكي المترابط"¹⁵:

أ/ الوجهة الأولى: تعريف المحكي المترابط كمقابل أو مكمل للنص الأدبي المترابط.

ب/ الوجهة الثانية: تعريف المحكي المترابط في ضوء الأدب الرقمي ومفهوم مولدات النص.

ج/ الوجهة الثالثة: تعريف المحكي المترابط بالنظر إلى علاقته بالزعة التفاعلية والكتابة التشاركية.

د/ الوجهة الرابعة: تعريف المحكي المترابط بالنظر إلى علاقته بالأدب المكتوب"¹⁶.

أما الناقدة (لبية خمّار) كان لها تصورهما بخصوص مفاهيم (الأدب الرقمي)، حيث تقترح كخطوة أولى لتجاوز إشكالية المفهوم اللجوء إلى مفاهيم (الأدب الورقي) مدعومة بمفاهيم أخرى تتعلق أساساً بطبيعة الوسيط الحامل للنص الرقمي المراد تعريفه تقول: "لذلك أرى أنّ الأدب الرقمي - في مرحلة التشكل هاته - والرواية المترابطة على وجه الخصوص بمقدورها استخدام مفاهيم الأدب الورقي مع ضرورة استيلاء مفاهيم جديدة تتلاءم والوسيط الجديد الذي يدمج الصوت والصورة والحركة في بنية النص دون إقصاء المفاهيم الورقية خاصة التي راكمتها الرواية منذ ظهورها إلى الآن، فهذه المفاهيم القديمة والمستحدثة هي التي ستمكن في إطار مقارنة تفاعلية، تكاملية من تحليل النصوص الرقمية التفاعلية والاشتغال عليها كخطوة جوهرية للتنظير لهذا الأدب الوليد"¹⁷.

إنّ اقتراح الناقدة يحمل كثيراً من المجازفة؛ إذ لا يمكن المزج بين مفاهيم (الأدب الورقي) التي تتميز بالخطية والثبات ومفاهيم (الأدب الرقمي) التي تُبنى على ديناميكية الحركة وانعدام الاستقرار، كما أنّ مقارنة نصوص (الأدب الورقي) تختلف بشكل جذري عن مقارنة نصوص (الأدب الرقمي) الافتراضية واللائهائية وتحليلها بالطبع يكون وفق هذه الخاصية.

من خلال المفاهيم السابقة يتبين أنّ إشكالية (المفهوم) تمثل عائقاً حقيقياً أمام كل باحث في مجال (الأدب الرقمي)، وقد ارتبطت هنا بجملة من الأسباب التي لا تفصل عن بعضها البعض، والتي أدّت في النهاية إلى غموض المفاهيم والتباسها، ونذكر أهمها والتي كانت وراء تأجيج هذه الإشكالية في الكتابة النقدية المغاربية وهي كالآتي:

- محدودية الإبداع الرقمي الأدبي المغاربي بسبب علاقته المتعثرة مع التقنيات الرقمية، واقتصار الإنتاج على تجارب فردية معزولة لا يمكن التعويل عليها لبناء مفاهيم شاملة للأدب الرقمي، حيث نجد في مجال السرد تجارب (محمد اشويكة) و(اسماعيل البويجاوي) و(لبية خمّار) في قصصهم المترابطة، وفي مجال الشعر نجد الشاعر (منعم الأزرق) وكلهم من المغرب، أمّا في الجزائر فباستثناء التجربة الروائية للكاتبة (أحلام مستغانمي) والمتمثلة في رواية (نسيان com)، وتجربة (حمزة قريرة) المميزة من حيث الإنتاج الأدبي الرقمي عبر مدونته الخاصة، في حين قام الروائي التونسي (إبراهيم الدرغوثي) بتحويل أعماله السردية الورقية إلى تجارب مسموعة وبصرية.

- اضطراب المصطلحات الدالة على الأدب الرقمي وعدم استقرارها، وهو اضطراب نابع من البيئة الأصلية النقدية الغربية غير أنه عرف تأزماً كبيراً في ظل البيئة المغاربية كما العربية.

-قصور الترجمة وتعددتها وخاصة في المغرب الأقصى الذي يشهد حركة نشطة لترجمة وتعريب نظريات الأدب الرقمي في كل من أوروبا وأمريكا، وهي ترجمة تخضع لتوجهات النقاد المنقسمة بين النزعة الفرونيكفونية ونظيرتها الأجلوسكسونية، ومن أهم هذه الترجمات نجد ترجمات الناقد (محمد أسليم) وترجمات الناقد (عبدو حقي) وغيرهما .

- انعدام الثقافة الرقمية حيث لم يحقق تطور الأجهزة الرقمية والبرامج المعلوماتية تقدماً يذكر في ثقافة الناقد المغربي- باستثناء عدد محدود جدا- مع العلم أن تجربة الكتابة الرقمية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك الأجهزة والبرامج التي أصبح امتلاكها والتمكن منها معرفياً مطلباً حضارياً.

-تعدد الوسائط والحوامل المساهمة في إنتاج النصوص الإبداعية الرقمية، حيث يلعب الوسيط دوراً كبيراً في تحديد مفاهيم الأدب الذي يُنتج عبره وغالباً يُنسب إليه، مثل تسمية الأدب الميديولوجي، والأدب الوسائطي لدى الناقد المغربي (جميل حمداوي).

- عُزوف النقاد المغربي عموماً عن حوض غمار الكتابة النقدية الرقمية، لتقتصر المبادرة على النقاد الأكاديميين من أمثال (سعيد يقطين، زهور كرام، لبيبة خممار، ومحمد أسليم، عبد النور إدريس، فاطمة كدو، إبراهيم عمري...) من المغرب، و (عمر زرفاوي، عبد القادر فهميم شيباني، البشير ضيف الله، حمزة قريرة، إبراهيم عبد النور، العيد جلولي) من الجزائر، ومن تونس (اسماعيل الهادي)

2/ إشكالية المنهج والبحث في آليات المقاربة الرقمية

كانت مهمة النقد الأدبي ولا تزال اقتفاء أثر الإبداع الأدبي، ولأنّ نصوص هذا الأخير غالباً ما تحمل في مُتونها بذور رؤى إنسانية؛ فالنقد الأدبي مُلزَم بالبحث في معاني و دلالات تلك الرؤى، والعمل على تأويلها بهدف تقريبها فهماً وتفسيراً من القارئ، وهذا يقتضي من النقد الأدبي تطوير أدواته وآلياته المنهجية بما يتلاءم وطبيعة الإبداع الأدبي ومقوماته وخصائصه.

والمنهج كأداة إجرائية لازمة في عملية المقاربة شكّل مُعضلة حقيقية للنقد الأدبي وهذا باعتراف النقاد أنفسهم، فالناقدة (خالد سعيد) مثلاً تقول: "لا يمكن للمنهج أن يكون آلة فحسب، أنا شخصياً لا أعرف كيف أفضل في المنهج، بين مجموع النصوص وتأثيرها في الناقد وبين المنطلقات النظرية ونوع الإجراءات العملية التي تُستنبط من الممارسة وطبيعة النصوص، بالنسبة لي هذه

الإجراءات تقوم بتصحيح دائم للمطلق النظري وبكشف مستمر لدلالات جديدة في النصوص وعلاقات جديدة فيما بينها"¹⁸.

ولهذا نجد أنّ النقاد المغاربة الذين آثروا الولوج إلى عالم الكتابة الرقمية وجاذبية عواملها الافتراضية في كثير من دراساتهم -سواء كانت مقالات أو أبحاث- لم يتخلوا عن هوسهم بالنقد الأدبي الورقي ومناهجه وأدواته، حيث راحوا "يقارِبون الأدب الرقمي بمفاهيم النقد الروائي، أو بمكونات القصة القصيرة أو في ضوء مناهج نقدية تأويلية خارجية(المنهج النفسي، المنهج الاجتماعي)، أو يتسلحون بأدوات الشكلائية الروسية، أو بتقنيات النقد الجديد كما لدى آلان روب غرييه، وجان ريكاردو، وميشيل بورتو، انطلاقاً من آليات البنية السردية كما عند رولان بارت، فيليب هامون، جوليا كريستيفا، وكلود برعموند، وجيرار جينيت"¹⁹.

وقدّمت الناقدة المغربية (لبية خمّار) طرحها لمقاربة (الأدب الرقمي) ونصوصه الجديدة، وهو طرح يحمل كثيراً من الاشتراطات في مسألة المنهج المناسب حيث رأت "أنه لا مناص من استدعاء البنيوية النصية والاشتغال بأدواتها للتمكّن من وصف الأدب الرقمي، وبناء معرفة بمكوناته، فما أحوجنا الآن أكثر من أي وقت مضى لإعادة الاهتمام بالبنية والعلاقة لنؤسّس معرفة بهذا النص الجديد ونقبض على طرائق تبينه ومختلف تعالقاته الظاهرة والضمنية، والإمساك بالآليات التي يتركز مؤسساً أدبيته وجمالياته المستكنة من البنيات وطرائق تشكلها وتعالقها"²⁰.

التفعيد النقدي للنظري للأدب الرقمي يستلزم بالضرورة المعرفة ببنياته

وقامت الناقدة بالفعل بالاستنتاج بالمنهج البنيوي وأدواته وتطبيقها على نصوص رقمية سردية مغربية وذلك في دراسة بعنوان (النص المترابط، فن الكتابة الرقمية وآفاق التلقي) تقول: "ستتمكّن من تعرية بعض أوجه النص المترابط ممثلاً في الرواية المترابطة التي ارتأينا الاشتغال عليها بمنهج بنيوي يُؤطر عملنا السردية الذي يستدعي مفهوم وجهة النظر برده إلى جذوره قبل هجرته إلى السرديات لأنه الحلق الذي تلتف حوله النصوص السردية والسنمائية والفوتوغرافية والخيط الرفيع الذي يوحدنا"²¹.

ويرى الباحث الجزائري (البشير ضيف الله) أنّه يتعيّن على الكتابة النقدية في ضوء تنامي الظاهرة الإبداعية الرقمية "البحث عن أدوات إجرائية جديدة، وتكييف بعض النظريات والمناهج (المرنة) مع المعطيات الحالية كمنظرة التلقي التي يمكن الإفادة منها وتوظيفها بشكل يتلاءم والمرحلة

الجديدة²²، التي تشهد إنتاج إبداعي وأدبي رقمي يصعب ترويضه، والتعميد لنظرياته وأطروحاته بمفاهيم ومعطيات النقد الأدبي الكلاسيكي لأنّ "المعطيات الرقمية الحالية تؤكد بوضوح تلاشي (قداسة) العملية النقدية بعد العلاقة (الحميمية) التي أصبحت تربط النص بمتلقيه حيث تم كسر الحواجز الجغرافية والفوارق المعرفية، والتخلص من (المقدمات) البروتوكولية والقيود المنهجية التي فرضها النقد الكلاسيكي تحت دواع معرفية/دراسية، إضافة إلى ما يشبه القطيعة الفنية التي أُلقت بظلالها على النقد الأدبي الذي بات في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى التعايش مع هذه التجربة الرقمية الجديدة وإرساء معالم نظرية نقدية جديدة تتأسس على التقنية بالدرجة الأولى"²³.

ولم تجد الناقدة المغربية (زهور كرام) من سبيلٍ لمسألة (المنهج) سوى اتخاذها التساؤل منهجاً في حد ذاته، لأنّ "المنهج باعتباره طريقة في التفكير في النص لا يُعدّ مجرد آلية للتحليل، أو عبارة عن تقنية لتفكيك الأدب، أو مجموعة من الخطوات التي ياتباعها بشكل آلي يحصل الناقد/القارئ على مُبتغاه، فيتبدد الغموض ويتلاشى اللبس، ويُحقق القارئ تواصلًا مضمونًا مع النص بعيداً عن إكراهات اللغة الإيجائية والرمزية، وإنما المنهج هو رؤية معرفية وتصور فلسفي"²⁴.

واعتمدت الناقدة في مقاربتها على طرح الأسئلة ومن ثمة التعمق في التحليل محاولة القبض على إجابات تقعع بها الذائقة العربية المتوجسة من تنامي فكرة تبني الإبداع الرقمي الجديد كوليّد شرعي لعلاقة الأدب بالرقمية في الممارسة الأدبية والنقدية، ولهذا تتساءل "هل يمكن أن يُضيء هذا السؤال (سؤال تطبيق النظريات الغربية النقدية) تجربة القراءة في النصوص الرقمية العربية حتى تُطور التجربة شكل قراءتها، وتُطور مفاهيم القراءة الرقمية انطلاقاً من الممارسة العربية؟"²⁵

لقد شكّل السؤال في تجربة الناقدة منهجاً واضحاً في سعيها التنظير للكتابة النقدية الرقمية، ففي مقال لها في (جريدة القدس العربي) يحمل عنوان (نحو التفكير في منهج أدبي ترابطي) كانت أكثر إلحاحاً في طرح الأسئلة تقول: "غير أن سؤالاً يُطرح على وضعية المنهج الأدبي وعلاقته بالأدب ومن الأسبق؟ هل الأدب أم المنهج؟ ومن الذي يحدّد وجود الآخر؟ وهل نستطيع أن نتبنى منهجاً من خارج الأدب؟ أم أنّ الأدب مؤهل لكي يُنتج طرق تحليله؟ ثم كيف يمكن الحديث عن تعددية المناهج إذا كان الأدب هو منتج أشكال الاقتراب منه؟ إنّها عينة من الأسئلة المشروعة التي يقترحها كل مهتم بالأدب وقراءته"²⁶.

وهوس الناقدة بالسؤال كان خاتمة المقال في سعيها الدفع إلى إيجاد بدائل منهجية لمقاربة النصوص الرقمية حيث تقول: "ألا تقترح علينا هذي التركيبة النصية من النصوص الروائية والقصصية التفكير في منهج تكون له القدرة المعرفية على تدبير قراءة هذا النوع من الكتابة؟ ألا نحتاج إلى تبني منهج يكون على مستوى التفاعل مع التركيبة الترابطية للنص الأدبي؟"²⁷

ويبدو أنّ أسئلة الناقدة المغربية (زهور كرام) حول الاستعانة بالنظريات النقدية الغربية ومناهجها المختلفة لتجاوز إشكالية (المنهج) - ولو مؤقتاً - وجدت استحابة من الناقد الجزائري (عبد القادر فهميم شيباني) الذي يقول: "هذه الأسئلة حاولنا أن نجيب عنها من خلال تقصي جوانب هذا الموضوع في ضوء المنهج السيميائي، مُنطلقين في ذلك من منجزات السيميائيات العامة مع التركيز بمنهجية على وضع متصورات النظرية السيميائية السردية موضع المسألة"²⁸.

ولجا الناقد إلى الاستنحاد (بالمنهج السيميائي) في دراسته الموسومة ب(سيميائيات المحكي المترايط، سردية الهندسة الترابطية، نحو نظرية للرواية الرقمية) التي استعان فيها بالنظرية السيميائية وأدواتها المنهجية والإجرائية لمقاربة البواكير الرقمية السردية العربية لرائدها المبدع الأردني (محمد سناحلة) ممثلة في روايته الرقمية (شات)، وهذا طبعاً لقناعته بأن النصوص الرقمية القائمة على نسيج متشابك من العلامات اللغوية وغير اللغوية (صورة، صوت، ألوان، موسيقى...) تقتضي مقاربتها تبني هذا المنهج.

أمّا الناقد الجزائري (حمزة قريرة) فيرى أن السبيل لتجاوز جميع الإشكالات الراهنة هو الانخراط في مجال الإنتاج الأدبي الرقمي عن طريق التجربة والممارسة مع "التركيز على آليات بناء النص/الخطاب في ظل التقنيات الرقمية وآليات تركيبها وإخراجها، وكل هذا سيجعلنا نتجاوز مرحلة التأسيس المصطلحي وصراع الترجمات والمفاهيم حول الأدب التفاعلي"²⁹.

في حين قدّم الناقد المغربي (جميل حمداوي) مشرعه النقدي الجديد لمقاربة الأدب الرقمي، ولم يحاكي منهجاً بذاته من مناهج النقد الأدبي المعروفة كما فعل بعض النقاد، وإنما قدّم مقاربة إجرائية جديدة تقوم على مجموعة من المستويات المستوحاة من طبيعة (الأدب الرقمي) وخصائصه ومكوناته يقول: "فقد طرحنا منهجية جديدة تُعد هي الأولى من نوعها في الوطن العربي، حسب اعتقادي، من أجل مقاربة الأدب الرقمي، وقد سمّيتها (المقاربة الميديولوجية أو الوسائطية/Midiologie) التي تعتمد مجموعة من المستويات التي حصرتها فيما يلي: مستوى

التصفح أو التوريق، المستوى الافتراضي، المستوى الشبكي، المستوى الميزانيسي، المستوى الوسائطي، المستوى اللوغارتمي، المستوى التقني والآلي، المستوى الترابطي، المستوى التفاعلي، المستوى الوظيفي³⁰.

أما الناقد المغربي (سعيد يقطين) فقد سعى عبر دراساته وأبحاثه التأسيس لكتابة نقدية رقمية عربية تواكب التحولات المعرفية الأدبية، وتركيزه الكبير على ثقافة (النص المترابط) الذي شكل جوهر دراساته النقدية النظرية، و"هو لا يهتم كثيراً بمسألة تحديد المنهج الأمثل للنقد الرقمي وإنما يُلح على قضية أساسية؛ تتمثل في الاشتغال الذي يسبق الممارسة النقدية، على نحو يكشف اعتقاده بأسبقية الإبداع على النقد"³¹، وبما أن ممارسة الكتابة الرقمية عكر صفوها العجز عن توظيف التقنيات التكنولوجية ووسائطها المتعددة؛ فإن "شكل التعامل مع هذه الممارسة يحقق تصوراً عن شكل الانخراط في هذا المتغير الحدائي العالمي، وإن كانت هناك الكثير من مُعيقات الفكر الحدائي ما تزال تُعرق كل عمل انتقالي حقيقي نحو الحدائبة باعتبارها ممارسة في الفكر والحياة واليومي في التجربة العربية"³².

وفي المقابل نجده في دراسته الموسومة ب(النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية) يقدم اقتراحاً لتحديد أدوات النقد الأدبي في ضوء مفهوم (Hypertext النص المترابط) وهو "اقتراح يسمح بإقامة الجسور بين الحقبة البنيوية وما تلاها من نظريات، إعادة النظر في النص بالانطلاق من التنظيم النصي باعتباره خاصية نصية لا يعدمها أي نص كيفما كان جنسه ونوعه، تحديد الكتابة الأدبية العربية بما يتلاءم وتحديد قواعد الكتابة العربية وتطوير أدوات تحليلها وقراءتها من منظور جديد يستعيد الإنجازات البلاغية العربية والنظريات الغربية"³³.

إنّ المتتبع لدراسات النقاد المغاربة وتصديهم للإبداع الأدبي الرقمي تنظيراً وتطبيقاً، والوقوف على تصوراتهم واقتراحاتهم المنهجية يصطدم بحقيقة غياب الاتفاق والتفاهم بينهم حول منهج نقدي معين لمقاربة (الأدب الرقمي)، بل إنهم تموضعوا بحسب تصوراتهم المنهجية في ثلاث مجموعات:

أ/ المجموعة الأولى: اعتمدت المناهج النقدية التقليدية السابقة لظهور الأدب الرقمي مثل (البنيوية، السيميائية، نظرية التلقي، ...). إمّا باعتماد أدواتها الإجرائية كآليات للمقاربة الرقمية، وإمّا عن

طريق تكييفها لتلائم وطبيعة النصوص الأدبية الرقمية، ومن هؤلاء النقاد نذكر (لبيبة خمّار) من المغرب، (عبد القادر فهم شيباني) من الجزائر.

ب/ المجموعة الثانية: اتّجّحت إلى البحث عن بدائل منهجية تُناسب طبيعة الإبداع الرقمي ومقوماته وخصائصه الأدبية والفنية ذات البعد الرقمي، وذلك في ضوء مقارنة نقدية جديدة مثل (المقاربة الميديولوجية) الناقد المغربي (جميل حمداوي).

ج/ المجموعة الثالثة: لم تعتمد منهجاً بذاته واتّجّحت صوب الممارسة النظرية بكثير من الحذر والتريث، لأن الكتابة النقدية لا تزال تجادل نفسها حول إجراءات وأدوات مقارنة الأدب الرقمي، ومن النقاد نذكر (سعيد يقطين) و(محمد أسليم) من المغرب، و(حمزة قريرة) من الجزائر.

3/ إشكالية القراءة الرقمية من الخطية إلى اللاخطية

شكّلت (القراءة) إحدى أهم المرتكزات التي تقوم عليها الكتابة النقدية المعاصرة، حتى أنها أصبحت شرطاً لازماً في جُلّ العمليات المرتبطة بالتأويل الأدبي، وعلى الرغم من ذلك ظل "سؤال القراءة يتجدد ويؤكد راهنته في كل مرة تكون فيها المجتمعات على شفير تحولات جارفة أو في مواجهة تحديات حاسمة"³⁴.

و تكتسي (القراءة) اليوم أهمية كبيرة في الدراسات الأدبية والنقدية، في ظل التحول الجذري الذي عرفته العملية الإبداعية؛ بانفتاحها اللاّ مشروط على التقنية والوسائط التكنولوجية، حيث غدت "القراءة جهاز معرفي وجمالي جديد قد يُظاھر الناقد على تمثّل ظاهرة أدبية بعينها بأيسر السبل بحيث يمكنه أن يستعيد بجهد القارئ المحلل لدى اتخاذ موقف بعينه، أو إصدار حكم بذاته"³⁵.

وظهرت (القراءة الرقمية) كإشكالية جديدة إثر الانقلاب الذي أصاب أركان المنظومة الإبداعية (الكاتب، النص، القاري)، بانتقال السلطة من (الكاتب/المبدع)، إلى (القارئ/المتلقي)، ودخول الوسيط(الحاسوب) طرفاً جديداً، وهذا الانقلاب كانت له " آثار عديدة على المؤسسة الأدبية ككل، إذ ثمة اليوم مراجعة لمفاهيم المؤلف والنص والقراءة والكتابة والملكية الفكرية، ما يُؤشر على دخول الأدب مرحلة جديدة وحده المستقبل سيحدد ملامحها النهائية، والسبب في ذلك كون الحاسوب خلافاً لسائر الحوامل التي عرفتها الكتابة على امتداد تاريخها؛ يتجاوز كونه مجرد سند مادي إلى كونه جهاز يؤدي وظائف خمس هي: الكتابة والقراءة والتخزين والبث والاستقبال"³⁶.

وقد أثارت (القراءة الرقمية) جدلاً واسعاً وتسؤلات عديدة لدى النقاد المغاربة الذين تصدّوا لمقاربة (الأدب الرقمي)، حيث وجدوا أنفسهم أمام حوامل رقمية جديدة أجبرتهم على تغيير عاداتهم وأساليبهم القرائية من التقليدية إلى الرقمية.

وكانت الناقدة المغربية (فاطمة كدو) قد أثارت إشكالية (القراءة) بطرحها جملة من التسؤلات في مقال لها بعنوان (وسائط جديدة وآليات قراءة متغيرة) حيث تقول: "ما هي قدراتنا كقراء على قراءة وسائط رقمية، ومجتمعاتنا العربية لا زالت تعاني من ضعف في القراءة الورقية، وتفتقد إلى حس قرائي متواتر (...). فما بالك بالقراءة الرقمية، سواء تعلق الأمر بقراءة الإبداعات الرقمية أم بالقراءة في محتويات الوسائط الجديدة؟ البعض يتحدث عن أزمة قراءة طارحا إشكاليات متعددة بعضها مرتبط بالأفراد وبعضها مرتبط بالمؤسسات (...). لكننا نعتقد أن الأمر لا يتعلق ب(أزمة قراءة) بل ب(أزمة تفكير)"³⁷.

تُدرك الناقدة أنّ إشكالية (القراءة) ليست وليدة اللحظة الراهنة، بل هي امتداد طبيعي لوهن قرائي مزمّن يُلازم الثقافة العربية في جميع الميادين، وخاصة ميدان الدراسات الأدبية والنقدية الذي ازدادت (إشكالية القراءة) تأزماً فيه بفعل ارتحال الأدب من وسيطه الورقي إلى وسائط رقمية مختلفة لكل منها طرق وأساليب قرائية مختلفة عن غيرها، وعلى الرغم من ذلك ترى الناقدة أنّ "القراءة الورقية والقراءة الرقمية، لا انفصال بينهما، كل واحدة تكمل الأخرى، لهما تقنيات وآليات محددة، وهما صارتا المعرفة، وبوابة نساها من خلالها في بناء الحضارة الإنسانية"³⁸.

وفي إطار أشغال الندوة الدولية المعنونة ب(الكتاب وأزمة القراءة في العالم العربي بين الورقي والرقمي) التي نظمها اتحاد كتاب المغرب فرع تازة بتاريخ 2015، اعتبر الباحث المغربي (إبراهيم عمري) أنّ "إشكالية القراءة وإن كانت مرتبطة بالكتابة منذ نشأتها، ثم بعد ذلك بظهور الكتاب في القرن الخامس عشر، تبدو اليوم في أمس الحاجة إلى إعادة نظر وإلى تحديد مغاير أكثر من أي وقت مضى، ويكمن السبب وراء هذه الحاجة الملحة والمستعجلة في أنّ الكتاب لم يعد ذلك السند الوحيد للقراءة، بل ظهرت إلى الوجود أسناد أخرى غير طبيعية مغايرة شرعت في منافسته، وغزو حميمية نسجها مع قرائه منذ قرون طويلة خلّت"³⁹.

وبحسب الناقد لم يعد الكتاب الأداة القرائية الوحيدة بالنسبة للقارئ، بل أصبح يملك خيارات قرائية متعددة، فرضتها سلطة الوسائط الجديدة بعد "هجرة و ترحالاً لم يسبق لها مثيل للنصوص

قديمها وحديثها، وللكتابة بشتى أنواعها من الورق إلى فضاءات رقمية جديدة آخذة في النمو والتناثر بوتيرة متسارعة من الشبكة العنكبوتية إلى شاشة الحاسوب، وشاشة الأيفون، والآيباد، والكتاب الإلكتروني، وصولاً إلى شاشات العرض الثلاثي الأبعاد ونظيرتها التفاعلية، مروراً بآخر صيحات الهواتف الذكية، والألواح الإلكترونية والتفاعلية والحواسيب المحمولة وغيرها آت لا ريب فيه⁴⁰.

لقد فرضت كل تلك الوسائط الجديدة عادات قرائية جديدة تختلف بشكل جذري عن تلك المعتمدة في القراءة التقليدية، وهذه الطرائق تتم وفق معطيات جديدة تنطلق أساساً من طبيعة النص الرقمي، ولكن تأثيرها السلبي على القارئ دفع الناقد المغربي (محمد مربي) إلى تأكيد استناد "عملية القراءة هنا إلى فكرة مركزية مفادها أن النص المتشعب مزود بوصلات تُسعف في تنشيط عملية القراءة، والانتقال إلى الشذرات النصية المختلفة، التي يمكن الوصول إليها من خلال النقر على الفأرة، توالي عمليات الانتقال بين النصوص من شأنها أن تحوّل القراءة إلى متاهة؛ تجعل من المتعذر على القارئ ضبط المسار بين نقطة الانطلاق ونقطة النهاية، فهو يشعر بأنه فقد الاتجاه ولا يعرف أين هو، بل الأسوأ من ذلك أنه قد لا يتذكر ما كان يبحث عنه"⁴¹.

إنّ خصوصية النص الرقمي المتمرد على ضوابط القراءة الخطية لها تأثير كبير في تحديد وجهة القارئ وطريقته في القراءة، وهي الفكرة التي انطلق منها الناقد الجزائري (عمر زرفاوي) الذي يؤكد " أنّ خصوصية بناء النص المترابط تفترض خصوصية القراءة أيضاً، فالقراءة لا تتم بشكل خطي انطلاقاً من نقطة البدء، وانتقالاً من صفحة إلى أخرى وصولاً إلى النهاية، فالنص المترابط نص لا مركز فيه تنطلق منه وجهة نظر القارئ في رؤيته للنص"⁴².

كما أكد الناقد المغربي (محمد أسليم) من جهته في مقال له بعنوان (الرقمية وتحولات الكتابة والقراءة) على موقعه الخاص أنه " مع النص التشعبي تم الطّي النهائي لظاهرة ما يُسمى بالخطية التي تقتضي قراءة النص من أول صفحة إلى آخرها؛ بسبب إكراه الحامل الورقي المادي، لفائدة قراءات متعددة المداخل ومتشعبة المسارات، حيث يمكن للحكاية الواحدة أن تتناثر داخلياً، بما يجعل القارئين الاثنان لا يجدان نفسيهما في مكان واحد وحكاية واحدة بعد انصراف وقت معين"⁴³.

ودفعت إشكالية (القراءة الرقمية) النقاد إلى التفكير الجاد والعميق في ما ستؤول إليه عمليتا القراءة والكتابة مستقبلاً، حيث كانت رؤية الناقد (محمد أسليم) واستشرافه لمستقبل القراءة

والكتابة تحمل الكثير من الموضوعية بالنظر لمعطيات المرحلة الراهنة وطريقة التعامل مع إشكالاتها يقول: "أنا مع الرقمية لم نعد نقرأ، ولن نقرأ مستقبلاً كما كنا نفعل من قبل، وحده المستقبل قادر على أن يحدّد الشكل النهائي الذي سيأخذه هذان النشاطان المنحدران منذ عصور سحيقة، واللذان سيشهدان بالتأكيد انقلاباً جذرياً على غرار سائر مناحي الحياة والأنشطة التي تتعرض للتقويض اليوم جراء الرقمية الجارية تحت أعيننا"⁴⁴.

ونفس الفكرة طرحها الناقد الجزائري (عبد القادر فهميم شيباني) الذي كانت رؤيته لإشكالية (القراءة) رؤية بعيدة المدى، حيث يعتقد جازماً أن "يظل مُشكل تدهور المقروئية واحداً من المشكلات المستقبلية، وفي وقت أضحت فيه جُل الإحصاءات والدراسات تجمع على مدى أثر المقروء الرقمي في تعطيل عرف القراءة الورقية، وتحويل النزوع القرائي نحو مزايا الهندسة النصية الرقمية، التي تنحو نحو إجمال التمثلات الكتابية وفق مبدأ التفاعل مع المستظهرات البصرية للشاشة"⁴⁵.

وكانت أغلب نقاشات النقاد المغاربة حول إشكالية (القراءة) تتجه إلى عقد مقارنات بين القراءة الورقية والقراءة الرقمية، والإقرار بحتمية انزياح القراءة عن سير الخطية إلى مآهات اللاحطية، هذه الأخيرة التي "تعد من خواص الوسيط المترابط، وهي تُعزى إلى شبكية الوحدات المعلوماتية بين عقد وروابط، وحول هذه الخوصصة تأتي أوجه المقارنة في الغالب بين الوسيط المترابط والنص المطبوع"⁴⁶.

والقراءة الرقمية تفرض على الناقد/القارئ التقيّد بقواعد وإكراهات وسائطها التي تدعم القراءة اللاحطية، وتضمن سيرورتها داخل فضاء افتراضي يُسهل عليه اختيار توجهاته القرائية، والانتقال بين الوحدات النصية المختلفة (نص، صورة، موسيقى،...) بواسطة مجموعة من الروابط، ومن هذا المنطلق ربط الناقد (عبد القادر فهميم شيباني) تحقيق القراءة اللاحطية بالتزام الناقد أو القارئ سلسلة من الضوابط التقنية يتم عبرها "فتح وإغلاق الصفحة، فتح النوافذ، الاحتزال الأيقوني، الاحتفاظ بأكثر من نص، التقدم والرجوع...)، تمكنه من خيارات متعددة لتفعيل القراءة (الفهرس المتدرج، الضغط والضغط المضاعف، المصعد القرائي...)، وتقرير مصيرها (تفعيل الروابط النصية)، والملفت في الدعامة المعلوماتية أنها تصل تطبيقات سيرورة القراءة بالنظام الافتراضي لتمثلات الشاشة، بما يرهن ملموسيتها على صعيد التحقق المادي خلافاً لتطبيقات

سيرورة القراءة في النص الورقي (قلب الصفحة، طي الصفحة أو تعليمها، نظام التقييم، الغلاف...) ⁴⁷.

واعتبر الناقد (سعيد يقطين) أنّ أصل إشكالية (القراءة الرقمية) يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الحامل أو الوسيط، لأنّ عملية (القراءة) من الحاسوب تختلف عن نظيرتها من الكتاب، إضافة إلى التباين الواضح بين أجهزة الحواسيب المنتجة للنصوص وغيرها المستخدمة في عملية القراءة يقول: "إنّ اختلاف أجيال الحواسيب ومميزات بعضها عن بعض، يدفع بالضرورة في اتجاه تطابق الجهازين ليحصل التلاقي الملائم، هذا التطابق لا يُطرح مع الكتاب المطبوع، فنحن نقرأ الكتاب نفسه (وإن اختلفت الطباعات)، قد تكون لكل منا نسخته الخاصة من الكتاب لكن النص واحد، أما مع الحاسوب فاختلاف الأجهزة وتباين مواصفاتها يجعل مثلاً بعض النصوص غير قابلة للتجلي إذا لم تكن هذه الأجهزة متوفرة على ما يدعم الإمكانيات التي استخدمت بها تلك النصوص" ⁴⁸.

لاشك في أنّ للقراءة الرقمية مغرباتها الكثيرة من المؤثرات السمعية والبصرية وتعدد الروابط وديناميكية النصوص والأيقونات، ومرونة الصفحات الإلكترونية... وغيرها، التي تشكل صعوبة لكل النقاد الذين اعتادوا القراءة من الكتاب المطبوع، لكن ينبغي الاعتراف بأنّ "الأدب الرقمي هو أدب المستقبل، أدب جيل الأندرويد، والهواتف الذكية والألواح الرقمية، وتواجهه لا يلغي تواجد الكتاب ولا القراءة الورقية فهما معا يتعايشان جنباً إلى جنب دون أن تنفي خصوصية أخرى، لكن ينبغي الإشارة أن القراءة حتى قبل الأدب الرقمي كانت تعرف عزوفاً شديداً من طرف القراء لارتفاع ثمن الكتاب ومحدودية توزيعه أو سوء طباعته نظراً لارتفاع ثمن تكلفة الورق... وقد يحل النشر الإلكتروني أزمة القراءة لأنه سيسهم في توفير الكتاب، حتى المخطوط أو المغمور الذي لم يلاق حقه من الإشهار والتسويق وبدون ثمن" ⁴⁹.

هكذا كانت رؤية الناقدة (لبية خممار) لإشكالية (القراءة الرقمية)، وهي إشكالية بالرغم من إثارتها لكثير من الجدل والتساؤلات، لم تجد إجابات حاسمة من قبل النقاد المغاربة كون (الأدب الرقمي) لا زال يفتقد للأرضية الصلبة التي يمكن للناقد الوقوف عليها بثبات وممارسة قراءته بثقته المعهودة مع الأدب الورقي، حيث تباينت مواقف النقاد بخصوص (إشكالية القراءة) وانقسمت آرائهم بين متحمس للقراءة الرقمية وداعم لها باعتبارها الأنسب لفك شفرات النصوص الرقمية، وبين مؤيد متحفظ بفعل تأثيرها السلبي، وآخر يدعو إلى الموازنة بينها وبين القراءة الورقية، ولكن

في العموم هناك شبه إجماع من طرفهم على ضرورة الانخراط في العصر الرقمي وتبني معطياته في سبيل النهوض بالإبداع الأدبي المغاربي.

خاتمة

لقد حاولت الدراسة تسليط الضوء على بعض إشكالات الكتابة النقدية المغاربية في مقارنة الأدب الرقمي، وهو موضوع يثير الكثير من الجدل المصحوب بتساؤلات معقدة لا تزال مطروحة على طاولة النقاش ولم يُقفل فيها بعد، وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج جاءت كما يلي:

- غياب الاتفاق التام والتفاهم بين النقاد المغاربة بشأن قضايا وإشكالات (الأدب الرقمي).
- غموض والتباس حدود مفهوم (الأدب الرقمي) لدى النقاد، مع الانتكاء على المفاهيم والترجمة الغربية.
- لجوء أغلب النقاد إلى الاستنجاد بالمنهج النقدية الغربية أو تكييف الأدوات الإجرائية لبعضها في مقارنة نصوص (الأدب الرقمي).
- توجه النقاد إلى دعم (القراءة الرقمية) بقليل من التحفظ، دون التحلي النهائي عن القراءة الورقية.

هوامش:

¹البشير ضيف الله: عن مأزق النقد .. وتلقي الأدب الرقمي، جريدة الجمهورية، تاريخ النشر 2019/7/1، تاريخ

الاطلاع 2020/10/7، <http://www.eldjournhouria.dz/art.php?Art=65254>

²سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط، (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)، ط1، 2005، ص 112.

³زليخة زيتون: أسئلة الأدب الرقمي بين الوجود والحدود، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 1، الجزائر، العدد 37، ديسمبر 2010، ص 130.

⁴زهور كرام: الأدب الرقمي (أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية)، دار الأمان، الرباط (المغرب)، ط1، 2013، ص 103

⁵جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية، الجزء الأول)، ط1، 2016، ص 12

موقع الثقافة للجميع <http://hamdaoui.ma/news.php?extend.250>

⁶جميل حمداوي: المقاربة الميديولوجية، نحو مشروع نقدي عربي جديد في دراسة الأدب الرقمي، ط1، 2017، ص 5

موقع الثقافة للجميع <http://hamdaoui.ma/news.php?extend.250>

- ⁷ زهور كرام: الأدب الرقمي (أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية)، ص 103.
- ⁸ المرجع نفسه، ص 103.
- ⁹ نصار الصادق الحاج: بعيداً عن ثقة الناقد، المجلة العربية، السعودية، العدد 518، نوفمبر 2019، ص 30-31
www.arabicmagazine.com
- ¹⁰ سعيد يقطين: من النص الى النص المترابط، (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي)، ص 208-209.
- ¹¹ المرجع نفسه ص 9-10.
- ¹² عمر زرفاوي: الكتابة الزرقاء، مدخل إلى الأدب التفاعلي، كتاب الرافد، الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)، العدد 056، 2013، ص 194.
- ¹³ نورة لحرش: الأدب الرقمي بين الواقع والتنظير، جريدة النصر، تاريخ النشر 2019/12/17، تاريخ الاطلاع 2020/10/18، <http://www.annasronline.com>
- ¹⁴ المرجع نفسه.
- ¹⁵ عبد القادر فهيم شيباني: سيميائيات المحكي المترابط، مقدمة نقدية للرواية الرقمية، مجلة مقاليد، الجزائر، العدد 4، جوان 2014، ص 37.
- ¹⁶ عبد القادر فهيم شيباني: سيميائيات المحكي المترابط، مقدمة نقدية للرواية الرقمية، ص 37.
- ¹⁷ لبيبة خمارة: النص المترابط، فن الكتابة الرقمية آفاق التلقي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، ط 1، 2018، ص 25.
- ¹⁸ خالدة سعيد: النقد العربي وآفاق النقد الجديد، مجلة موافق، بيروت (لبنان)، العدد 42/41، 1981، ص 29.
- ¹⁹ جميل حمداوي: المقاربة الميديولوجية، نحو مشروع نقدي عربي جديد في دراسة الأدب الرقمي، ص 83.
- ²⁰ لبيبة خمارة: النص المترابط، فن الكتابة الرقمية آفاق التلقي، ص 25-26.
- ²¹ المرجع نفسه، ص 28.
- ²² البشير ضيف الله: عن مأزق النقد.. وتلقي الأدب الرقمي.
- ²³ المرجع نفسه.
- ²⁴ زهور كرام: نحو التفكير في منهج أدبي ترابطي، جريدة القدس العربي، العدد 8506، تاريخ النشر 2015/10/25، تاريخ الاطلاع 2020/10/26 <http://www.alquds.co.uk>
- ²⁵ زهور كرام: الأدب الرقمي (أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية)، ص 67.
- ²⁶ زهور كرام: نحو التفكير في منهج أدبي ترابطي.
- ²⁷ المرجع نفسه.
- ²⁸ عبد القادر فهيم شيباني: سيميائيات المحكي المترابط (سرديات الهندسة الترابطية، نحو نظرية للرواية الرقمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد (الأردن)، ط 1، 2014، ص 2-3.

- ²⁹ حمزة قريوة: تجارب في الإبداع والخلق التفاعلي، المجلة العربية، السعودية، العدد518، نوفمبر2019، ص40-
www.arabicmagazine.com.41
- ³⁰ جميل حمداوي: المقاربة الميديولوجية، ص82-83.
- ³¹ أحمد زهير رحاحلة: مسارات النقد في الأدب الرقمي بين التنظير والتطبيق، مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، الأردن، المجلد34(3)، 2020، ص 8.
- ³² زهور كرام: الأدب الرقمي (أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية)، ص67.
- ³³ سعيد يقطين: النص المترابط مستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)، ط1، 2008، ص37.
- ³⁴ إبراهيم عمري: سؤال القراءة في الزمن الرقمي بين تشاؤم المعرفيين وتفاؤل الأدباء، أشغال الندوة الدولية(الكتاب وأزمة القراءة في العالم العربي بين الورقي والرقمي)، اتحاد كتاب المغرب فرع تازة، 2015، ص215
http://search.mandumah.com
- ³⁵ عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد(متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010، دط، ص 65-66.
- ³⁶ محمد أسليم: الرقمية وتحولات الكتابة والقراءة، تاريخ النشر 2020/1/27، تاريخ الاطلاع 2020/10/29
http://www.aslim.org/site/?p=1653
- ³⁷ فاطمة كدو: وسائط جديدة وآليات قراءة مغايرة، مقال رقمي تاريخ النشر 2019/04/30 تاريخ الاطلاع 2020/10/15
bilarabiya.net/8059.html
- ³⁸ فاطمة كدو: وسائط جديدة وآليات قراءة مغايرة.
- ³⁹ إبراهيم عمري: سؤال القراءة في الزمن الرقمي بين تشاؤم المعرفيين وتفاؤل الأدباء، ص215-216.
- ⁴⁰ المرجع نفسه، ص215-216.
- ⁴¹ محمد مريني: النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي، كتاب الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، العدد089، ص54.
- ⁴² عمر زرفاوي: الكتابة الزرقاء (مدخل إلى الأدب التفاعلي)، ص167.
- ⁴³ محمد أسليم: الرقمية وتحولات الكتابة والقراءة.
- ⁴⁴ المرجع نفسه.
- ⁴⁵ عبد القادر فهم شيباني: سيميائيات المحكي المترابط، ص75.
- ⁴⁶ المرجع نفسه، ص65.
- ⁴⁷ المرجع نفسه، ص76.
- ⁴⁸ سعيد يقطين: النص المترابط مستقبل الثقافة العربية (نحو كتابة عربية رقمية)، ص197-198.

⁴⁹ليببة خمار: الأدب الرقمي، إشكالاته، راهنيتته وآفاقه المستقبلية، موقع رفيف العيون، تاريخ النشر 2014/07/19،
تاريخ الاطلاع 2020/10/20 <http://labiba-khemmar.narration.over-blog.com>